فى ردهة الرقص

تهادى حسانُ الحى[1] فى ردهة القصر ... منضَّرةَ المرأى ، مصفَّفة الشَّعْر
يَفِضْنَ شباباً فى فتونٍ وبهجةٍ ... لدى عين نُجْلٍ ، لدى أوجه غُرٍّ
كأنّ الشفاه الجُوْنَ[2] بيضٌ صفيحها[3] ... أزاهيرُ حُمْرٌ فى أضاميمَ مِنْ نَوْر
نواهدُ أبدينَ الترائبَ والطُّلَى ... وكشَّفنَ عنْ أعلى المتونِ إلى الخصر
وأبرزنَ أكتافاً وعَرَّينَ أيدياً ... وكنّ بما أظهَرْنَ فى رونقٍ مغر
على البَشَرِ البضِّ الغضيرِ تألّقت ... أساورُ منْ ماسٍ ، قلائدُ من درّ
جواريحُهنّ الكاسياتُ موائلٌ ... كما شاءت الأزياء من بِدعِ العصر
محاسنُ أعضاءٍ تناهى انسجامها ... نَسَبْنَ القدودَ الفارعاتِ إلى السُّمْرِ
لِدَانٌ كأنفاس الربيع متى سرت ... تضوَّع منهنّ السرىُّ من العطر
رياشٌ[4] من الديباج بَصَّتْ شياتها[5] ... عليهن من بيضٍ وسودٍ ومن حمر
تأنقن فى زيناتهن عرائساً ... بناتُ خيالٍ ما خطرنَ على فكرى
فأشرقن والأنوار فى كل جانب ... فولّى ظلام الليل من طلعة الفجر
وظلّت عيون القوم فيهن رُتَّعاً ... تَنَقَّلُ بين البيض والسمر والشقر
فجرَّرت الغيدُ الذيولَ مدلَّةً ... بتكوينها المرموق فى سمتها النضر
أرائك حول المائدات شغلنها ... وصحبٌ من الفتيان كالأنجم الزُّهر
على حلقات الشَّرْب دارت سُقاتهم ... ودارت على الأقداح آنيةُ الخمر
تلامست الأقداح ثم تُرشِّفَتْ ... وأمسى الندامى لا لصحو ولاسكر
على السمع أنداء الحديث تساقطت ... كما طل أزهاراً نثيث من القطر
فمن نُخَبٍ مستملحاتٍ نريغها ... إلى نُكَتٍ بالأريحية تستذرى

---

(١) الحى : الجماعة . — (٢) الجون جمع : الجون وهو الأحمر الخالص .
(٣) الصفيح : جمع صفيحة وهى بشرة جلدة الوجه . — (٤) الرياش : اللباس الفاخر .
(٥) الشات هنا : الألوان .

وللحن ترجيعٌ يناغم جَرسَه ... مشاعرنا ، مارنٌ إياه تستقرى
تَساوقَ فى موجاته مترسِّلاً ... أرق من العُتْبَى وأندى من الزَّهرْ
زخارفَ وشيٍ نمَّقَتْ فى غضونه ... مهارةُ ذى عزف ، براعة ذى زمر
تماحَى ، فخلناه اضمحل ، إذابه ... على صخب يعلو ويهبط فى يسر
وقمن يراقصن الرجال إجابةً ... إلى نغمٍ لا يستقرّ على نبر
يلين على مهل ويشتدّ معجلاً ... ويبغم فى أنس ويصدح فى ذعر
يئنّ حنيناً أو يشقشق هادراً ... فيشكو ويرجر أو يضج فيستضرى
يجلجل ممراحاً وينساب رائقاً ... لنا منه فى حاليه دنيا من الشِّعر
وأسلمنهم قاماتهن برقة ... وكلٌّ تلقَّى صنوَه طافح البشر
وما ضمها حتى تولّته نشوةٌ ... من الفرح الطاغى بمفترة الثغر
وما اتحد الصنوانِ حتى تدافعا ... فطوراً بها يجرى وطوراً به تجرى (١)
يمور بها والصدر بالصدر لائذٌ ... وكفٌّ إلى كفٍّ وكفٌّ إلى الظهر
ويُقبل حيناً ثم يُدبر تارة ... تسايره الهيفاء بالكرِّ والفرِّ
يُرى الحفل فوضى بين غاد ورائح ... فهذا على طور وهذا على طور
عجبت لفوضى يستتبّ خلالها ... نظامٌ يسود الراقصين بلا أمر
يدورون مَثْنَى والُحطا تتبع الخطَا ... تُشايع إيقاع المعازف والنقر
يجولون جولاً يبتدى حيث ينتهى ... يروح مع الأنغام كرًّا على كر
فمِنْ دَوَرانٍ يستقيم ويلتوى ... إلى جَوَلانٍ يستدير على حِذْر
وصنوين جدًّا فاستقلا بحيِّز ... توقف منه الراقصون عن السير
وشيكا ومهلاً يمضيان ، سُراهما ... طليق على قيد ، يسير على عسر
وبينا بها يرتدُّ عجلانَ ، ينثنى ... بها داهباً نحو الأيامنِ واليُسْرِ
ويفصلها عنه فتنأى وتدّنى ... فنشر إلى ضمٍ وضم إلى نشر
تدور حواليه فيرعى مدارَها ... فكيف اغتدت يغدو وأنى سرى تسرى
يعلق إحدى راحتيها بكفه ... ويُطلقها تفتنّ فى رقصةِ بكر
وما انفتلت إلا استدارت حبائكاً (٢) ... شراشرُ (٣) ذيل من حرائرها الخضر

---

(١) هذا على ما يراه غير الراقص . — (٢) الحبائك : طرائق الرمل .
(٣) شراشر الذيل : ذباذبه وما انتشر منه .

تلفُّ بساقيها الذلاذلَ إن ونت ... عن الفتل حتى تسحب الذيل فى كبر
إلى صنوها الساعى إليها مراقصا ... فكانا كبيت الشعر شطراً إلى شطر
وصفَّق إعجاباً وشارك راقصاً ... من الحفل من يبغى المزيد من الحبر
ترى حركاتِ الراقصين كثيرةً ... فمنها على سرٍّ ومنها على جهر
فمن همسات لستَ تبلغ كنهها ... ومن بسمات ينطوين على سرٍّ
أَبقيا على ودٍّ ؟ أوَعْداً ؟ أدعوةً ؟ ... أمَ انَّ ابتسام الخود لون من المكر ؟
ومنْ لفتات تستبيك رشاقةً ... ومن نظرات لا لِجدّ ولا هزر
سواحر تُبدى المبهماتِ من المنى ... وتأبى عليك المفضياتِ إلى الحَزْر
غموضٌ كأطوار الملاح محيِّر ... فأنت بتيهٍ من غوامضها الكُثْرِ
إذا لم تَحِدْ عما أسرَّتْ وأبهمت ... بُلِينَ بحال من مكايدها وعر
ويارب إعجاب لديك ملكنه ... بما كن فيه من خَلالٍ ومن حِجْرِ
سرورك ساعٌ ينقضى بانقضائها ... فلا تنفقنها غير منشرح الصدر
تَمَلَّ أفانين المحاسن وابتهج ... حيالك ما يرقيك من حزن الدهر
خليط كملتفِّ الغصون شخوصه ... أفاء علينا الوارفات من السحر
شخوص تناءى فى مجال وتلتقى ... على بارع الألحان من حيث لاتدرى
وما انتهت الأنغام حتى تفرقوا ... وعادوا وعادت آية الكأس والسمر

[بغداد]

على الخطيب